ان هذا الصمت لم يكن ليترك اي مجال لمثل هذا الخطأ ، حتى وان كان يسمع ، في الوقت الحاضر على الاقل ، كما لو كان طنين خلية من النحل ، او ازيز مخلوقات خفية ، يعلو ويخفت في ظل الشجرة الكبيرة · شخص ، ذو شارب غليظ ، كان يجلس في طرف الدائرة ويلف بيديه القرويتين السمراوين وبهدوء ، لفافة ، جاعلا من حجره ورشة صغيرة لهذا الغرض ، كان يجمع اوراق التبغ ويفركها ثم يحشوها في اللفافة جيدا ضاربا عليها من كلا طرفيها ، ثم ينهمك بالقداحة الصوانية يستقدحها الى ان اورت له في النهاية شرارة صغيرة ، اوقدها بالنفخ عليها وهو يخفيها بين يديه ، ثم اشعل اللفافة وراح ينفث مستمتعا ، دخانا عفنا ، مظهرا به فضلات حرية تبقت ، واملا بالمستقبل ، شيء من « يكون خيرا » ، والذي يوجد دائما من يذكيه بقوة ارادة هادفة ، سرعان ما يؤمن بها كما لو كانت البداية للخلاص ، بل وينقلها الى جيرانه بالايمان الخالص ـ هذه الميزة الجميلة ، التي غدت الآن بائسة جدا وساذجة جدا ما دمت (كما لو كنت ، الاله الذي في السموات) ، تعرف ما لا يعرفه بعد ·

والى جانبه ، كان ثمة رجل آخر ، يجلس ويخطط باصبعه على الرمل خطوطا متقاطعة ومتوازية ، ومتداورة ، ويمرر اصبعه في الطرق الرملية بشرود نفسي ما هو في الواقع سوى تركيز نفسي آخر · وليس من الصعب قراءة اقوال انسان مقهور ، فيما كان قد خطط ·

لعل واحدا يقوم من بينهم ويقول : اننا لن نتحرك من هنا ، يا ايها القرويون اصمدوا وكونوا رجالا ·

تجولت بعيني هنا وهناك · لم ارتح · من اين اطل في الوعي بأنني متهم · وما الذي بدأ يضغط علي كي اعتذر ؟ كان الهدوء الذي يخيم على مشية رفاقي لا يزيدني الا محنة· احقا انهم لا يعرفون ؟ ام انهم يتظاهرون بانهم لا يعرفون ماذا ؟ ولو انني قلت لهم فانهم لن يصدقوني ، ناهيك عن انني لا اعرف حقا ما الذي اقوله ، بل ليتني اعرف قول ماالذي بي فقط · قلق هو الذي بي · ثمة شيء ينقصني ، وسيلة ، اتشبث بها · تشبثت باولئك الـ « مبعوثين في مهمات معادية » الامجاد ، المذكورين في امر القتال · استعرضت امام ناظري كل تلك المصائب والمآسي التي جرها العرب علينا · رددت اسماء الخليل وصفد وبئر طوبيا وخولدا · تشبثت بالضرورة ، وهي ضرورة مؤقتة ، ستنتفي مع الايام هي الاخرى ، عندما يستتب كل شيء · فعدت وتأملت ذلك الجمع الهامس هنا على قدمي، همسة خافتة ، بريئة وحزينة ـ ولم ارتح · تمنيت لو ان شيئا ما يحدث فيمسكني ويقذفني بعيدا عن كل ذلك فلا ارى كيف سيكون ·

وفي هذه اللحظة بالذات طلب الي مويشي ان اعتلي الجيب مع عامل اللاسلكي ، ومع شلومو ويهودا ، كي نخرج ونستطلع المنطقة · من السهل فهم كيف انني انطلقت وكيف اننا ابتعدنا عن مكاننا (والعيون كلها ترافق ما نفعله) بسرعة واندفاع على الرغم من الازقة والمنحنيات · خربة خزعة القذرة هذه · هذه الحرب · وكل الاشياء ·

تسلقنا سفح تلة ، لم تر حتى في احلامها شيئا سيارا فوقها ، بمغامرة مدوخة ، بينما كان المنحدر يفلت من تحت العجلات ، التي كانت تعود وتتشبث بحصاه المنزلق في اللحظة نفسها التي كان فيها الجيب ينطلق ويندفع كطرف العين ، ويتقد بكامل قوته ، وبرغبة تياهة الادراك بالعنفوان للصراع ، وصل الجيب الى قمة التل بسرعة ، حيث اخذنا هناك مكانا لنا نشرف منه على الديراري في الجانب الآخر ·